

حافظ على سمعتك



د. سالم بن أرحمه

قال الأبيشي صاحب كتاب المستطرف: «يُستدلُّ على عقل الرَّجُل بأُمور متعدِّدة منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنُّبه ما يكسبه عاراً، ويورثه سوء السُّمعة»، فالسمعة الحسنة، والذكر الطيب، هما رأسمال المرء، وهما عمره الثاني، يبنيه في حياته القصيرة، ليكون عمره المديد. هما اللذان يخلدان ذكرَ صاحبهما، ويورثانه حياةً بعد الممات، ويبقيان له ذكراً وثناءً، وحمداً ودعاءً، وينشران في الآفاق عَرفاً وأريجاً.

الجمالي دايمة، والمناصب ما تدوم

والكفو لو يندفن، ما تندفن سمعته

بيت شعر مملوء بالحكمة، من الأقوال الخالدة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، اختصر فيه

أهمية السمعة وأنها تظل عالقة في أذهان الناس حتى بعد رحيل أصحابها

قَوْمٌ بَيِّنُ الْأَرْضِ تُنْسَى قُبُورُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ حَتَّى الْقِيَامَةِ تُذَكَّرُ

والذِّكْرُ الطَّيِّبُ مَعْيَارٌ مِنْ مَعَايِيرِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَيَزِنُونَ بِهَا أَقْدَارَ الْأَفْرَادِ، فَحَافِظْ عَلَى سَمْعَتِكَ. وَمَنْ قَصَصَ الْحِكْمَةَ أَنْ الْهَدِيدَ تَنَازَعَ وَالْغَرَابَ يَوْمًا عَلَى حَفْرَةِ مَاءٍ، كُلُّ مِنْهُمَا يَدَّعِي أَنَّ الْحَفْرَةَ لَهُ، وَاخْتَصَمَا وَلَمْ يَسْتَطِيعَا حَلَّ الْخِلَافِ بَيْنَهُمَا. وَبَعْدَ نِزَاعٍ طَوِيلٍ، اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَحْتَكَمَا إِلَى قَاضِي الطَّيُورِ، فَذَهَبَا إِلَيْهِ وَسَرَدَا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا، فَطَلَبَ مِنْهُمَا الْبَيِّنَةَ؛ فَمَنْ يَمْلِكُ الْبَيِّنَةَ تَكُنُ الْحَفْرَةُ مِنْ نَصِيبِهِ، فَنَظَرَا إِلَى بَعْضِهِمَا، وَالتَزَمَا الصَّمْتَ. وَعِنْدَمَا طَالَ صَمْتُهُمَا، عَلِمَ الْقَاضِي أَنَّهُ لَا بَيِّنَةَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ، فَمَا كَانَ مِنَ الْقَاضِي إِلَّا أَنْ حَكَمَ بِالْحَفْرَةِ لِلْهَدِيدِ! فَقَالَ لَهُ الْهَدِيدُ مَتَّعِجًا: لَمْ حَكَمْتَ لِي بِالْحَفْرَةِ أَيُّهَا الْقَاضِي؟! فَرَدَّ الْقَاضِي: لَقَدْ اشْتَهَرَ عِنْدَكَ الصَّدَقُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالُوا: «أَصْدَقُ مِنْ هَدِيدٍ». سَكَتَ الْهَدِيدُ لِلْحَفْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَسْتُ مِمَّنْ يُشْتَهَرُ بِصِفَةٍ وَيَفْعَلُ خِلَافَهَا، هَذِهِ الْحَفْرَةُ لِلْغَرَابِ، وَلَئِنْ تَبَقِيَ لِي هَذِهِ الشَّهْرَةُ، أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ أَلْفِ حَفْرَةٍ

الشاهد من القصة: سَمْعَتُكَ الطَّيِّبَةُ هِيَ رَأْسُ مَالِكَ، فَحَافِظْ عَلَيْهَا، فَهِيَ أَعْلَى أَصُولِكَ قِيَمَةٌ وَسَتَعِيشُ أَطْوَلَ مِنْكَ، فَتَشَبَّثْ بِهَا وَاجْعَلْهَا تَدَافِعَ عِنْدَكَ فِي حَيَاتِكَ وَبَعْدَ مَمَاتِكَ

وَكُنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ شِمَائِلُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتٌ وَلَقَدْ حَرَّصَ عَلَى السَّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ وَالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ، وَالذِّكْرِ الْكَرِيمِ، أَفْضَلَ الْبَشَرِ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ، أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، عَلَيْهِمْ جَمِيعًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ؛ فَقَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَهَبَهُمُ الذِّكْرَ الْحَسَنَ، وَلِسَانَ الصَّدَقِ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدَقِ فِي الْآخِرِينَ». أَيُّ: وَاجْعَلْ لِي ذِكْرًا جَمِيلًا وَثَنَاءً حَسَنًا، وَسَمْعَةً طَيِّبَةً أَذْكَرُ بِهَا

وَقَدْ حَرَّصَ نَبِيْنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ عَلَى الْحِفَافِ عَلَى السَّمْعَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ كُلِّ مَا يَخْدَشُهَا، وَفِي قِصَّةِ زَوْجَتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ لِرَجُلَيْنِ لَمَّا رَأَاهُمَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِمَا وَهُوَ يَمْشِي مَعَهَا لَيْلًا: «عَلَى رَسْلِكُمَا؛ إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْشَكَ فَيْكَ؟ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ «ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا

حَافِظْ عَلَى سَمْعَتِكَ فَإِنَّهَا كَالزَّجَاجَةِ يَصْعَبُ إِصْلَاحُهَا إِذَا مَا انْكَسَرَتْ، وَلِتَكُنْ صَفْحَةً تَارِيخِيكَ فِي الْحَيَاةِ بَيْضَاءً، لَا تَسْوَدُّهَا بِتَصْرِفِ مَشِينٍ وَلَا خَلْقٍ مَهِينٍ

مَا يَخْدَشُ السَّمْعَةَ وَلَا يَعِيبُ الْإِنْسَانَ إِلَّا الدُّرُوبُ اللَّيِّ مَا هِيَ مُسْتَقِيمَةٌ لَا تَسْتَهِينُ بِسَمْعَتِكَ لِيْنِ تَهَانَ وَتَصِيرُ لَا مَعْنَى وَلَا مِنْكَ قِيَمَةٌ

وَفِي الْحَدِيثِ: «كَرَمُ الرَّجُلِ: دِينُهُ، وَحَسْبُهُ خَلْقُهُ»، وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْحَسْبَ الَّذِي يَحْمَدُ بِهِ الْإِنْسَانُ: مَا تَحْلِي بِهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي نَفْسِهِ، لَا مَا يَعْدُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْهُ

وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». وَكَأَنَّ الْحَسْبَ هُوَ مَا يَتَفَرَّدُ فِيهِ الْمَرْءُ عَنْ غَيْرِهِ، «وَهُوَ قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ؛ أَمَا النَّسَبُ فَالْكَلُّ مُشْتَرِكٌ فِيهِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ

وأعلم أن السمعة السيئة تصنع التهمة حتى للأبناء، وسمعتك الطيبة تنعكس على أبنائك وكذلك على أقاربك الأبعد،
!فليس المال الإرث الوحيد الذي تخلفه على أهلك وأبنائك فقد تكون السمعة الطيبة أجل وأعظم

«قال بعض الحكماء: «أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع

drsalem283@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2026